

الإفتتاحية

تركيا و "الناتو"؛ شراكة الهيمنة الاستعمارية

في مقابلة مع صحيفة الإيكونوميست الأسبوعية الإنكليزية في السابع من نوفمبر الماضي وصف الرئيس الفرنسي مانويل ماكرون حلف الناتو بأنه "ميت دماغيا". وقد برر التوصيف بالمواقف المتذبذبة للرئيس الأميركي دونالد ترامب في السياسة الخارجية كما باتخاذ تركيا، العضو في الحلف، خطوات عسكرية أحادية الجانب مثل غزوها شرق الفرات لضرب قوات الحماية الكردية. وقد أعاد ماكرون هذا التوصيف لاحقا وأعلن أنه لن يعتذر عنه.

قوبلت تصريحات ماكرون بانتقاد من جانب ترامب الذي وصفها بأنها "سيئة للغاية". لكن ردة الفعل الأكبر جاءت من جانب تركيا الذي قال رئيسها رجب طيب إردوغان بأنه ليس الحلف بل ماكرون هو الميت دماغيا. واعتبرت فرنسا تصريحات إردوغان بأنها ليست مواقف سياسية بل إهانة.

على خلفية هذه الحرب الكلامية عقد حلف الناتو اجتماعا في لندن قبل أيام قليلة بمناسبة الذكرى السبعين لتأسيسه. بؤادر الأزمة الدبلوماسية بين فرنسا وتركيا لا تلغي حقيقة ان العلاقة بين تركيا وحلف شمال الأطلسي أقوى بكثير من أي أزمة يمكن أن تنشأ داخل الحلف كما إن العلاقة بين أعضاء الحلف فيما بينهم لا تزال قوية ومتينة رغم كل التصريحات والمواقف المعاكسة. رغم اختلاف الظروف فقد تمردت فرنسا على الحلف في عهد الرئيس التاريخي شارل ديغول الذي انسحب من الجناح العسكري للحلف. لكن فرنسا عادت لاحقا إلى الحلف الذي توسع للغاية بعد سقوط الإتحاد السوفياتي وأصبح يضم اليوم ٢٩ دولة.

ولقد حاولت أوروبا بعد انتهاء الحرب الباردة تشكيل منظمة عسكرية بديلة عن حلف الناتو بحجة انتهاء التهديد السوفياتي وتفكك حلف وارسو. لكن الهيمنة الأميركية على الحلف حالت دون ذلك. وبقيت أوروبا حتى اليوم ماضية رغما عنها في

ركاب واشنطن رغم أن الحلف يضم دولتين فقط من خارج أوروبا هما الولايات المتحدة وكندا فيما الـ ٢٧ دولة الباقية من أوروبا.

يشكل وضع تركيا داخل حلف الناتو وضعا خاصا للغاية. فهي الدولة المسلمة الوحيدة في الحلف وبذلك تنزع عن الحلف أي صفة دينية أو " صليبية " يمكن أن تُلصق به. وهو خاض معاركه الباردة في الأساس ضد دول مسيحية هي دول حلف وارسو. وعضوية تركيا في الحلف في العام ١٩٥٢ بعد ثلاث سنوات على تأسيسه تكون تركيا العضو الأطلسي الوحيد الذي له حدود برية مع دول شرق أوسطية مثل سوريا والعراق وإيران. ولا تخفى على أحد أهمية تركيا في الحلف ولمصالح الحلف. وهذا يفتح على السياسات الخارجية والأمنية لتركيا على امتداد تاريخها منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية. والمفارقة هنا أن التحول التركي نحو الغرب بعد تلك الحرب كانت نتيجة اعتقاد الأتراك أنهم يواجهون تهديدا من الاتحاد السوفياتي نفسه. فذهبت تركيا إلى الولايات المتحدة لتعقد معها أول اتفاق عسكري في العام ١٩٤٧ ومن ثم كانت مشاركة تركيا في الحرب الكورية إلى جانب الغرب ضد الشيوعية تذكرة مرور إلى عضويتها في الحلف، فيما تقاربها اليوم مع روسيا أحد عوامل بعض الخلافات بينها وبين الحلف وواشنطن. وفي كل معارك الحلف ومهامه في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط والبحر المتوسط كان لتركيا دور بارز باعتبار أنها تخفف عن الحلف صفته العدوانية كونها بلد مسلم. وتجل ذلك في مناطق مثل أفغانستان وليبيا. وبعدها كانت انقصة تتساءل عن أي شأن لحلف الناتو في ليبيا سارعت إلى المشاركة في مهامه العدوانية للإطاحة بالعقيد معمر القذافي وهي لا تزال تواصل بطريقة أو بأخرى ضمن الحلف وخارج الحلف تدخلها في الشأن الليبي.

الخلافات بين بعض أعضاء الحلف وتركيا حول العملية العسكرية في سوريا أو شراء تركيا لمنظومة أس ٤٠٠ من روسيا أو حتى حول اللاجئين السوريين، لا يغير من جوهر الدور البنيوي التركي داخل الحلف ومن ان انقصة تستخدم هذه الأوراق لتحسين موقعها في الحلف لا الخروج منه. وتركيا ستبقى بحاجة إلى الحلف والحلف بحاجة إلى تركيا، وكلاهما يتشاركان في مهمة واحدة وهي دعم الذهنية الاستعمارية في العالم ومنها في الشرق الأوسط والمنطقة العربية.

رئيس التحرير